المتسكعون على رصيف الحياة !

الجمعة 29 يناير 2016 12:01 م

السعيد الخميسي

* خلق الله الإنسان وكرمه أعظم تكريم فقال عز وجل " ولقد كرمنا بني آدم " ولم يقل " ولقد كرمنا المؤمنين أو المسلمين " , فى دلالة واضحة على أن التكريم الإلهي بصفة عامة لكل بنى البشر وأعظم نعمة على الإطلاق كرم الله الإنسان بها هى نعمة العقل التي لوفقدها المرء لصار أقل من الحيوان قيمة وشأنا . وبعد نعمة العقل أكرم الله الإنسان بنعمة العبودية له وحده فقال " وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ". ولا يرضى الله لعباده أبدا أن يفنوا أعمارهم متسكعين هائمين على وجوههم فى النواصي والطرقات والحارات والفضائيات والملاهي الليلة وحانات الرقص والهوى واحتساء الخمور والتسول على موائد السياسة . المتسكعون هم المتشردون المتخبطون الذين يسيرون بلا هدف أو غاية أو هدى من الله أو كتاب منير أو علم مستنير . يقول " ابن منظور " وهو من أئمة اللغة:" سكع الرجل يسكع سكعا , وسكع مشى متعسفا . تسكع فى أمره اى غير مهتد فى وجهته . وتسكعوا أي تحيروا . والتسكع أي التمادي فى الباطل . يقول الشاعر : ومن هانت عليه النفس يوماً ..... وأوردها التسكع والبوارا . فقد نبذ المهابة طول عمر وجر على كرامته الصغارا .

* إن المتسكعين على رصيف الحياة اليوم كثر فى شتى مناحى الحياة . يأتى فى صدارة هولاء , المتسكعون على رصيف السياسة . وتلك الشريحة للأسف الشديد يوجد من بينها بعض من أساتذة الجامعات ومفكرون ومحللون وسياسيون بارزون وخبراء إستراتيجيون ورؤساء أحزاب وشخصيات عامة وإعلاميون وكتاب وصحفيون . القائمة أطول من نهر النيل . هولاء يذكرونني بالمتسكعين فى الموالد الشعبية , الذين يشدون الرحال إليها فقط من أجل الاستمتاع بقزقزة قراطيس اللب والترمس والفول السوداني ومشاهدة حلقات الذكر واختلاط الرجال بالنساء , والطواف حول خيام المحبين والمحبات لسيدى صاحب المولد . هولاء المتسكعون فى موالد السياسة , ينتظرون انتهاء مباراة الملاكمة السياسية ليحددوا موقفهم النهائي . وفى الغالب الأعم فإن هناك منافسا يسقط وآخر ينتصر . وعندئذ يسارع هولاء إلى ملاهى الفضائيات الليلية ليعلنوا تأيدهم للبطل الفائز أيا كانت هويته وأيدلوجيته ووجهته . ولامانع من أن يمسكوا سكينا ويذبحوا منافسه بدم بارد .. هذا المشهد يتكرر كثيرا فى عالمنا العربى . مثل هولاء لاخير فيهم ولافائدة ترجى منهم لأنهم منبع الفساد ورأس الضلال وأصل الشقاق والنفاق .

* أما المتسكعون فى الصحافة والإعلام بكل فروعه , فحدث ولاحرج . فمثل هولاء سماهم الراحل الدكتور مصطفى محمود رحمه الله " عبيد لقمة " . أنهم جاهزون وفى وضع الاستعداد ليكفروا آخر الليل بما آمنوا به فى أول النهار . إنهم أبواق كل سلطة حتى ولو كانت سلطة احتلال لوطنهم . لايهمهم هذا طالما أن مصالحهم ومليارتهم فى أمن وسلام وليذهب والوطن والشعب والدولة إلى سواء الجحيم حسب اعتقادهم . ساندوا وأيدوا وصفقوا ونافقوا كل السلطات الحاكمة التى حكمت الوطن , صالحة كانت أم فاسدة , ظالمة كانت أم عادلة . إن وجوههم مكشوفة , وأخلاقهم مفضوحة , ووجهتهم منبوذة . سبوا وشتموا وعارضوا ثورة يناير فى أيامها الأولى , ثم انقلبوا وأيدوها يوم خطاب التنحى ضمانا لحياتهم وإنقاذا لرقابهم . معرفون بالرسم والاسم . يعرفهم من فى الأرض ومن فى السماء . أولئك هم المتسكعون حقا . عليهم من الله ما يستحقون .

* أما المتسكعون فى دواوين العمل الحكومية فهم كثر لأنهم سبب تخلف الدولة الادارى وتعطيل مصالح المواطنين . يذهب هولاء ألي أعمالهم فى الصباح ويا ليتهم لم يذهبوا . يذهبون ومعهم كل ماطاب من أنواع الطعام والشراب وكأنهم ذاهبون إلى حفل ليلى . وما أن تدق ساعة العمل حتى يبدؤوا فى التهام مالديهم من طعام وشراب , حتى إذا فرغوا من ذلك , يبدأ حديث التليفونات المحمولة مع الأصدقاء والزملاء والزوجات والأبناء . ثم بعد ذلك ينتقلون إلى الحديث حول المرتبات والحوافز والبدلات والمكافآت والأجازات والعلاوات فى ما يفيد وفى مالا يفيد . تاركين عباد الله المساكين واقفين فى حرارة الشمس وبرد الشتاء . وإذا احتج أحد المواطنين وتململ بسبب هذا التسيب والتخلف وغياب الإدارة وتعمد الإهمال , فلا تجد من السادة المتسكعين فى دواوين العمل غير الاهانة والتطاول ولا مانع من أن يتطوع أحدهم مطلا برأسه من الشباك قائلا : اضربوا دماغكم فى أقرب حيطة!؟. إنهم المتشردون الضالون الذين عطلوا مصالح

البلاد والعباد . أليس مثل هولاء هم المتسكعون حقا ...؟

* أما المتسكعون من طلبة العلم من شرائح المدارس الثانوية العامة والفنية فضلا عن بعض طلبة الجامعات فحدث ولا حرج . تخرج الصباح إلى عملك فتصدم حين تراهم يقفون على الأرصفة , وأمام مدارس البنات , وفى فناء الجامعات , وفى مواقف السيارات , لاهم لهم ولا شغل ولا عمل غير معاكسة البنات , وتشغيل الأغاني الساقطة الهابطة الرديئة , والقهقهة بصوت خادش للحياء العام , وارتداء زى أشبه بزى الإناث , وإطالة الشعر حتى يتدلى على الكتفين , وتربية الأظافر , والبناطيل الضيقة المتدلية إلى أسفل لتظهر العورة . ولا ينقصهم غير عمل المكياج لتكتمل الأنوثة الغائبة!؟ لايعرفون طريقا للعلم , ولايفقهون فى أمر دينهم شيئا مذكورا . والسؤال هو : هل من بين سيتخرج قادة المستقبل فى كل مناحى الحياة ..؟ هل من بين هولاء سيتخرج الأطباء والمهندسون والصيادلة والمعلمون والمحامون وباقى المهن ..؟ كيف سيكون حال المجتمع إذا صرنا إلى هذا الحال؟ أليس هولاء هم المتشردون المتسكعون الهائمون على وجوههم ..؟

* قولا واحدا : إن هولاء المتسكعين مثل " الساعة المعطلة " لاهى تتقدم للإمام ومسايرة الزمان , ولاهى تذهب إلى ورشة الإصلاح والصيانة فتدور وتعمل . من المسؤول عن فساد هولاء ..؟ ومن يتحمل نتيجة فسادهم وتسكعهم غير المجتمع المسكين؟ أن تكلفة الفاتورة باهظة ويجب أن يسير المجتمع بأكمله فى طريق الصلاح الإصلاح وإلا فلا نلومن إلا أنفسنا . إن مجتمعا بلا شباب واع صالح يعرف قيمة الوقت ويقدسه , ككتاب له غلاف ولكنه بلا فكرة تذكر أو مضمون يحترم . ضاعت أوطاننا وتاهت وفقدت البوصلة , يومان تحولت شرائح كثيرة من المجتمع إلى مجرد متسكعين يجوبون الطرقات بلا هدف حتى وصل التسكع إلى مقر دواوين العمل الرسمي . نسال الله العفو والعافية . والله من وراء القصد والنية .